مقياس اللغة والمجتمع، ماستر1 الأستاذ/ أنور طراد

المحاضرة الثانية: التّطور اللّغوي والتّطور الدّلالي للألفاظ، وأسبابه:

1 – التطور اللّغوي:

من خصائص اللّغة الإنسانية أنها تتطور بمرور الزمن، فيظهر على بعض ألفاظها تغييرات صوتية، وصرفية ودلالية وأسلوبية أيضا، بل قد يقع التّطور على مستوى نظام اللّغه نفسه، وهذا التغير والتطور يكون نتيجة عدة عوامل، ذكرها عبد الواحد وافي في مؤلفه اللغة والمجتمع:[1]

- العوامل الاجتماعية.
- تأثر اللغة باللغات الأخرى.
- عوامل أدبية من خلال جهود الأدباء و اللّغويين (الابتداع).
- انتقال اللغة من جيل إلى أخر (التطور الدلالي).
- عوامل طبيعية تتمثل الظواهر الجغرافية و الفيزيولوجية و ما إليها .
- عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها و طبيعة أصواتها و قواعدها و متنها (المخالفة والمجاورة بين بعض الأصوات تؤدي إلى تغير نطق ذلك اللفظ، كأن تغيب بعض أصواته، أو تتغير من صوت إلى أخر قريب منه...)

سنقتصر في شرحنا على العوامل الاجتماعية فقط لارتباطها بموضوع الدّرس .

يرى عبد الواحد وافي أن اللّغة تتأثر أيما تأثر بحضارة الأمة و نظمها و تقاليدها، و عقائدها و اتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، و نظرها إلى الحياة ، وشؤونها الاجتماعية العامة ...فكل تطوّر يحدث في ناحية من هذه النّواحي يتردّد صداه في أ داة التّعبير، و لذلك تعد اللّغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب ،فكلما اتسعت حضارة الأمة ، و كثرت حاجاتها و مرافق حياتها، ورقي تفكيرها، وتهذبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لغتها، و سمت أساليبها، و تعدّدت فيها فنون القول ، و دقت معاني مفرداتها القديمة و دخلت فيها مفردات جديدة عن طريق الوضع و الاشتقاق و الاقتباس و التعبير عن المسميات و الأفكار الجديدة .و اللغة العربية أصدق شاهد على ذلك ، فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، من النطاق العربي الضيق الذي امتازت به مدينتهم في عصر بني أمية إلى الأفق العالمي الواسع الذي تحولوا إليه في عصر بني العباس،كان لهذين الانتقالين أجلّ أثر في نهضة لغتهم و رقي أساليبها واتساعها لمختلف الفنون وشتى مسائل العلوم.

---

[1] ينظر: عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 4- 15

و انتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها، ويسمو بأساليبها، و يوسع نطاقها، و يزيل ما عسى أن يكون بها، من خشونة و يكسبها مرونة، في التّعبير و الدّلالة و من أمثلة ذلك البدوي الذي مدح الأمير قائلا:

أنت كالكلب في حفاظك للعهد *** و كالتيس في قرع الخطوب .

هو نفسه الذي هذبته حضارة بغداد فقال :

عيون المها بين الرصافة و الجسر *** جلبن لي الهوى من حيث أدرى ولا أدري.

إضافة إلى مظاهر النشاط الاقتصادي التي تطبع اللّغة بطابع خاص في مفرداتها ومعانيها وأساليبها و تراكيبها ، فتختلف اللغة لاختلاف أنواع الإنتاج و نظم الاقتصاد و شؤون الحياة ، والمهن السائدة (الزراعة – الصناعة– التجارة، الصيد ، رعي الأغنام)

و اللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة، فعقائد الأمة و تقاليدها ، و ما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة و التشريع و الفضاء و الأخلاق و التربية ، و حياة الأسرة ، و ميلها ، إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم ، و غير ذلك من مظاهر النشاط الاجتماعي الذي ينعكس على مظاهر اللغة تعبيرا و دلالة و حتى أصواتا و نطقنا.

و عليه فإن اللغة تتأثر في تطورها بالعامل الاجتماعي أكثر من غيره من العوامل الأخرى، لما لها من احتكاك بالأفراد، فتتطور في أساليبها و أصواتها.

2 – التّغير الدّلالي للألفاظ:

هو التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزّمن، وتبدل الحياة الإنسان، وهذا المعنى الجديد الذي تكتسبه اللفظة قد يخفي المعنى القديم بشكل كامل، وقد يبقى محافظا على جزء من معناه الأصلي، ويأتي هذا التغير لأسباب مقصودة (الابتداع مثلا) أو غير مقصودة(الانتقال المجازي..). ولقد عرفت كثير من ألفاظ اللغة العربية تغيرا عبر الزمن وصارت لها دلالات أخرى غير تلك التي وضعت لها أولا. وكان للهجرة والإسلام دور بارز في ذاك التّغير، فنجد كثيرا من الكلمات اتخذت مدلولا مغايرا عن المدلول الذي كان سائدا قبل الإسلام، فبمجيء الإسلام هُذبت وصبغت بصبغة دلالية أخرى تغيرت معها الدّلالة المركزية للفظة (مثل لفظة الكرم التي حافظت على معناها العام الذي يعني الجود والسخاء والعطاء، ولكن في الجاهلية ارتبطت بحب الشهرة والظهور والتباهي أمام الناس، وعندما جاء الإسلام هذبها وربطها بالإخلاص لوجه الله، وإلا كان هذا الكرم رياء مردودا على صاحبه). والأمثلة في ذلك كثير.

3 – من أسباب التغير الدّلالي للألفاظ:

- **ظهور الحاجة**: كأن يحتاج الأفراد إلى تسمية مسميات جديدة لأشياء مكتشفة ومصنوعة، فيلجؤون إلى الاقتراض، أو إلى خلق كلمة على منوال الكلمات الموجودة، أو إحياء ألفاظ قديمة وإطلاقها على مسميات جديدة (كما هو حاصل في لفظ السيارة..) وتكون هذه من طريق المجامع اللّغوية والهيئات العلمية. وهذا السب يتداخل مع السبب الثاني وهو التطور الثقافي والاجتماعي ويكاد يكون نفسه.
- **التطور الثّقافي والاجتماعي**.
- **المشاعر العاطفية والنّفسية** .
- **الابتداع**: وعادة ما يكون من طرف الأدباء والمجامع اللغوية، ولا يكون من طرف عامة الناس.
- **الانتقال المجازي**: كأن تكتسب الكلمة معنى ثاني مجازيا، ثم بمرور الزمن يصير المعنى المجازي أصليا في اللفظ، فيرتبط به وقد يقضي على المعنى الأصلي الأول.

أشكال تغير المعنى: تتخذ التغييرات الدلالية للألفاظ عدة أشكال نعرضها باختصار:[2]

– **تعميم الدلالة**: وهو الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام، فيصبح عدد ما تشير إليه اللفظة أكثر من السابق (يحصل ذلك عند الصغار مثلا كأن يطلق لفظة تفاحة عن كل شيء مستدير، أو أن يقول عم لكل رجل فيسقط ملامح التمييزية المتمثلة في القرابة، ويكتفي بملمح الذكورة والبلوغ..) وتعميم الدلالة قليل حدوثه في اللغات.

– **تضييق الدلالة**: وهو الانتقال من المعنى الكلي العام إلى معنى خاص جزئي، وتضييق مجالها، وهذا يحص كثيرا في لهجاتنا مثلا كلمة حرامي نسبة إلى الحرام بصفة عامة، ثم خصصت دلالتها فصارت تطلق على الرجل اللص، وثل ذلك كلمة الطهارة خصص مجالها لتطلق اليوم على الختان، ومثل ذلك كلمة الحريم كانت تطلق على كل شيء محرم لمسه، واليوم خصصت لتطلق على النساء...ومثل ذلك كلمة الحج، التي كانت تعني القصد بصفة عامة، ثم قيدت وخصصت بالمعنى المعروف اليوم وهو القصد إلى بيت اهلذ الحرام لتأدية مناسك خاصة.

– **انتقال المعنى**: ويكون ذلك بطرائق شتى منها الاستعارة والمجاز وإطلاق البعض على الكل، ويتخذ هذا النوع شكلين هما: انحطاط المعنى، ورقي المعنى. الأول أن يكون للكلمة دلالة راقية ونبيلة ثم تصير تطلق على دلالة أقل رقيا أو تهوي بها إلى معاني دنيئة، ورقي الدلالة عكس ذلك.

---

[2] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص244-245-246

- ومن أمثلة ذلك كلمة الشنب، كانت تعني جمال الثغر ونصاعة الأسنان، والآن صارت تعني الشارب، وكانت عبارة طول اليد تطلق على السخاء وصارت تطلق على السارق، فهذا انحطاط لدلالتها.
- ومن الأمثلة كلمة رسول، كانت تطلق على أي مبعوث ومرسول إلى مهمة ما، ثم صارت لها دلالة راقية (تأدية رسالة سماوية).
- ومثل ذلك كلمة الحاجب التي كانت رتبة من الرتب السامية في عهد الدولة الأندلسية، ثم صارت تطلق على الحارس المعروف اليوم، ومثلها كلمة ماريشال التي كانت تطلق على رتبة راقية في الجيش ثم صارت تطلق على حارس الاصطبل.. وهكذا.